الفصل الأول

علاقة الخوارج المعتدلة بالإباضية

- الظروف السياسية التي أدت إلى ظهور الخوارج.
- ظهور الخوارج المعتدلة.
- علاقة ابن إباض بتنظيم جابر بن زيد.
- علاقة أبي بلال مرداس بن أدية بجابر بن زيد.

obeikan.com

obeikan.com

تُعد مشكلة الحكم بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم- أساس الصراع السياسي الذي نشب بين المسلمين ونشوء الأحزاب والفرق الإسلامية وهو ما أشار إليه الشهرستاني[١] بقوله: "إن أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة"، إذ أن عدم وضعه -صلى الله عليه وسلم- لنظام سياسي معين لإدارة الدولة الإسلامية، يعود إلى أنه لم يتسلم سلطته السياسية بصفته الشخصية، وإنما بصفته رسول الله، ولما كانت صفة النبوة قد انتهت بوفاته؛ لأنه خاتم الأنبياء وأن النبوة لا تورث، فإن السلطة السياسية هي الأخرى غير قابلة للوراثة[٢].

وهكذا أصبح منصب الخلافة بعد وفاته -صلى لله عليه وسلم- فارغاً، وبهذا تكون مسؤولية ملء هذا الفراغ على عاتق الصحابة - رضوان الله عليهم- الذين استطاعوا تفادي الوقوع في مشاكل، قد تنجم عن هذا الفراغ منذ اختيار أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، حتى آواخر خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنهم-. إذ برزت هذه المشكلة من جديد في آواخر عهده، مقارنة بعهدي الخليفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-؛ وذلك نتيجة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أدت في آخر المطاف إلى استشهاده - رضي الله عنه-سنة ٣٥هـ/٦٥٦م. وبذلك فُتح باب الفتنة، ونشب خلاف بين الإمام علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان- رضي الله

(١) الشهرستاني، أبو الفتح عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل بهامش كتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم،ج١، ص٢١، ٢٢، مكتب المثنى، بغداد-العراق (د.ط) (د.ت).

(٢) هاشم يحيى الملاح: أساليب تداول السلطة في الدولة العربية الإسلامية، ص٢٠، مجلة الرافدين، العدد ٧، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، الموصل-العراق.

عنهما-، وعلى أثره حدثت معركتان، وهما: الجمل وصفين. وبنهاية معركة صفين ظهرت فرقة الخوارج. وكان من أهم الأسباب التي أدت لظهورها هو رفضهم لمبدأ التحكيم. وموضوعنا هذا، ليس الخوض في مسألة الخلافة، ولكنه سيكون في الحديث عن نشأة الخوارج وعلاقتها بالإباضية. لهذا لا بد من دراسة الأوضاع السياسية التي رافقت ظهور "المُحكّمة"[1]، والتي أدت بدورها إلى ظهور الخوارج المعتدلة ولو بشكل مختصر.

الظروف السياسية التي أدت إلى ظهور الخوارج

يعود ظهور الخوارج إلى زمن الخليفة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- عقب حدوث معركة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، بين الخليفة علي بن أبي طالب،

(١) بعض المصادر الإباضية تطلق على الخوارج الذين ظهروا في زمن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- بالمحكمة، أو أهل النهروان، ويرفضون أن يطلق عليهم بالخوارج؛ لأنهم يرون أنهم ليسوا خوارج؛ لأنهم لم يخرجوا الإمام علي -ﷺ- بل لأنهم رفضوا مبدأ التحكيم فقط أما بالنسبة للمصادر التاريخية الأخرى غير الإباضية فيطلقون عليهم بالخوارج. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف، ج٢،ص٢٢٣، ٢٤٢، ، ٢٤٧-٢٧١،ج ٣، ص١٨١، تحقيق/ محمود فردوس الأعظم، دار اليقضة العربية، دمشق-سوريا، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، (د.ط). أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في تاريخ البشر، المعروف بـ(تاريخ أبي الفداء)،ج١،ص١٧٨، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت). ابن المرتضى، أحمد بن يحيى بن المرتضى، المنية والأمل في شرح الملل والنحل، ص٢٦، تحقيق/ محمد جواد مشكور، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار الندى، بيروت- لبنان. الشماخي، أحمد بن سعيد عبد الواحد: السير،ج١،ص٤٨، تحقيق/ أحمد بن سعيد السيابي، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط-عمان. السير والجوابات (سيرة أبي قحطان): خالد بن قحطان (من علماء القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي)،ج١،ص١١٢-١١٤، تحقيق/ سيد إسماعيل الكاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م (د.ط).

ومعاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما-؛ إذ رفض الأخير ما كان يدعوه إليه الخليفة في تسليم الأمر له، والدخول فيما دخل فيه أهل الحرمين والمصرين[١]، إلا أنه رفض؛ بحجة مطالبته بقتلة الخليفة عثمان بن عفان-رضي الله عنه- الموجودين في جيشه[٢]، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾[٣]؛ وباعتباره أولى الناس بطلب دمه؛ لأنه عامل الخليفة على الشام وابن عمه[٤].

على الرغم من المحاولات التي بذلها الخليفة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ليثنيه عما هو مقبل عليه، فإنها لم تسفر عن أية نتائج إيجابية. فما كان منه إلا أن خرج إليه لعزله بالقوة. وتعد معركة صفين[٥] وما نتج عنها في نهاية المطاف

(١) يقصد بالحرمين: مكة والمدينة، والمصرين: الكوفة والبصرة.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ،ج ٢،ص ١٩٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٣٣.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٢،ص١٩٣.

(٥) نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ/٨٤٦م): موقعة صفين، ص٥٤٦، تحقيق/ عبد السلام هارون، ط١، ١٣٦٥هـ/١٩٥٥م، دار إحياء الكتب العربية، بيروت-لبنان. البلاذري: أنساب الأشراف،ج٢،ص١٩٣-٢٤٦. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م): تنبيه الأشراف، ص٢٧٢، ٢٧٣، تحقيق/ لجنة التراث، دار الهلال، بيروت-لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.(د.ط). ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت٥٧٥هـ/١٢٠٢م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ج٥،ص١١٧-١٢٣، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة/ نعيم زروزر، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان. ابن طباطبا، محمد بن علي بن طباطبا، المعروف (بابن الطقطقي) (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية، ص٧٣، ٧٧، مكتبة محمد صبحي، القاهرة-مصر، (د.ط)، (د.ت). الحميري، محمد ابن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م): روض المعطار في خبر الأقطار، ٣٦٣-٣٦٥، تحقيق/ إحسان عباس،

من قضية التحكيم[١]، أهم عوامل بروز جماعة في جيش الإمام علي – رضي الله عنه- رافضةً التحكيم، أطلق عليها بـ"الخوارج". وهي أول الفرق الإسلامية؛ لأن قبول الطرفين بها، ورفض جماعة من المسلمين لها أدى إلى ظهورها. فهم –أي الخوارج- لم يستنكروا التحكيم فقط، بل تحدوا سلطة قريش، بتنصيب عبدالله بن وهب الراسبي الأزدي[٢] خليفة للمسلمين، دون اعتبار للنسب[٣]. فأمروه عليهم، لاعتبارات عدة، منها: صلاحه في الدين والدنيا، وعدم رغبته في السلطة، وهذا ما بينه عند تنصيبه[٤]، إذ قال: "هاتوها،

دار القلم، بيروت-لبنان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، ٧ج،ص٢٥٣-٢٧٣، ط٢، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، مكتبة المعارف، بيروت-لبنان. السير والجوابات: سيرة أبي قحطان،ج١، ص١١٠ ،١١١.

(١) الطبري، أبو جعفر محمد جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ(تاريخ الطبري)، ج٥،ص٦٧-٧٢، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، ١٣٩٢هـ /١٩٧١م، دار المعارف المصرية، القاهرة، مصر. أبو العربي: أبو بكر محمد بن عبدالله بن أحمد بن العربي =المعافري (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م): العواصم في القواصم في تحقيق الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ص١٧٢-١٧٦، ١٧٧، تحقيق/ محب الدين الخطيب، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت- لبنان (د.ط) (د.ت). أبو الفداء: المختصر، ص١٧٦-١٧٨. ابن كثير: البداية، ج٧،ص٢٧٦-٢٧٨.

(٢) ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن سائد (ت٢٠٤هـ/٨١٩م): نسب معد واليمن الكبير، ج٢،ص٢٣٧، تحقيق/ محمد فردوس العظم. قراءة/ رياض عبد الحميد مراد، دار اليقضة العربية، دمشق-سوريا، (د.ط) (د.ت).

(٣) خليفات، عوض محمد: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال افريقية في مرحلة الكتمان، ص١٤، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الأردن-عمان.

(٤) السيابي، سالم بن حمود بن شامس: حلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص٢١، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط-عُمان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، (د.ط).

أما والله لا آخذها راغباً في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت[١]، ولكن أقبلها لما أرجو فيها عظيم الأجر"[٢].

وقد اتخذت فرقة الخوارج شعار: "لا حكم إلا لله"[٣]، وأول من أطلقها عروة بن أدية؛ ولهذا عرفت "بالمُحكّمة"[٤]، وبهذا الشعار وضعت مبادئهم. وهو الشعار الذي رد عليه الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–، بقوله: "كلمة عادلة يراد بها جور، إنما يقولون لا بد من إمارة برة أو فاجرة"[٥]. وهذا ما حدث قبل معركة النهروان أثناء انعزال اثني عشر ألف من جيشه[٦] قبل

(١) الطبري: تاريخ الطبري ، ج٥ ص٦٧.

(٢) الدينوري، أحمد بن داود (ت ٢٨١هـ/٩٨٥م): الأخبار الطوال، ص٢٠٣، تحقيق/ عبد المنعم عامر وآخر، ط١، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، دار إحياء التراث الكتب العربية، القاهرة- مصر.

(٣)ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): الإمامة والسياسية (المنسوب إليه) ج١،ص١٤١، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، مكتبة مصطفى البابي الحلب وشركاه، القاهرة- مصر. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م): الكامل في اللغة والأدب، ج٢،ص١٣٤، ١٣٥، ١٥٣، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، (د.ط) (د.ت). ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م): الفتوح،ج ٢،ص٢٥١-٢٥٤، تحقيق/ علي شيري، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الأضواء، بيروت-لبنان. ابن الجوزي،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): تلبيس إبليس، ص٩٤، تحقيق/ السيد العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان (د.ط) (د.ت). ابن كثير: البداية، ٧ج،٢٨٠-٢٨٢، ٢٨٥-٢٨٧.السير والجوابات: سيرة أبي قحطان،ج١،ص٢١٢-٢١٦.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٣٢.

(٥) المبرد: الكامل في الأدب، ج٢،ص١٥٣.

(٦) تعددت الآراء حول عدد من انعزل عن علي – رضي الله عنه-قيل: عشرة آلاف، وقيل: اثنا عشر ألفاً، وقيل: ستة عشر ألف، وقيل: عشرون ألفاً، وقيل أربعة وعشرون ألفاً. ابن أعثم: الفتوح، ج٤،ص٢٥١. ابن الجوزي: تلبيس، ص٩٤.البكري، حسين بن محمد بن الحسن

وصوله للكوفة، إذ نزلوا –أي الخوارج- في منطقة يقال لها "حروراء"، وهو موضع بظاهر الكوفة[١]،لإنكارهم عليه عدة أشياء منها التحكيم. فبعث إليهم الإمام علي بن أبي طالب عبدالله بن عباس-رضي الله عنهما- لمناظرتهم، فرجع الكثير منهم، ونرجح منهم القراء الذين ظلوا في الكوفة، وعددهم ألفان[٢]. ولم تقتصر محاولة الخليفة على المناظرات[٣]، بل عمد إلى مكاتبتهم[٤]، إلا أن ذلك لم يسفر عن أية نتائج إيجابية، وخاصة بعدما أدركت هذه الجماعة عدم رغبة الإمام علي برفض التحكيم. فانتخبوا عبدالله بن وهب الراسبي، أما قبل ذلك فلم يعلنوا الخروج عليه، وهو ما أكدته بعض المصادر[٥]. فما كان من علي

ديار البكري (ت٨٩٢هـ، وقيل: بعدها/ ١٤٨٦م): تاريخ الخميس في أحوال النفس النفيس، ج١،ص٢٢٧، مؤسسة شعبان، دار صادر، بيروت- لبنان (د.ت) (د.ط). الشماخي: السير،ج١،ص٤٨.

(١) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، ج٢،ص٢٤٥، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت- لبنان.

(٢) تعددت الآراء حول الذين استجابوا للخليفة قبل معركة النهروان، قيل: استجاب له أربعة آلاف رجل. البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢،ص٢٤٢. المبرد: الكامل في الأدب: ج٢،ص١٣٩.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢،ص٢٤٢-١٥١. المبرد: الكامل في الأدب، ج٢،ص١٣٥. ابن أعثم: الفتوح، ٤ج،ص٢٥١-٢٥٥، ٢٦٣. ابن كثير: البداية، ج٧،ص٢٧٩. السير والجوابات: سيرة أبي قحطان، ١ج،ص١١٢.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٠٦-٢١٠.

(٥) أشارت بعض المصادر أن المحكمة أو اهل النهروان لم يخرجوا على الخليفة علي –رضي الله عنه- وهو في طريقه إلى الكوفة عقب معركة صفين، بل عندما بدأوا بالمسيرة إلى النهروان، حيث فارقوه ونزلوا الحروراء، وهناك انتخبوا عبدالله بن وهب الراسبي أميراً لهم، ولم يرفعوا السلاح ضده إلا بعد نزولهم وتواعدهم في النهروان، وما يؤكد ذلك أن الاتصالات بقيت بينهم إلى أن فشلت. ابن

سوى مقاتلتهم[١]، فالتقى الطرفان في "النهروان" سنة ٣٨هـ/٦٥٨م. وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط في شرقي دجلة[٢]، قتل فيها ألفين وثمانمائة من المحكمة[٣]، وقيل أربعة آلاف من ستة آلاف[٤]، ومهما تعددت الآراء حول عدد الذين قتلوا في المعركة، فإنه يدحض ما ذهب إليه البعض من أنه لم ينج

خياط، أبو عمر وخليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ ابن خياط، ص١٩٢، تحقيق/ أكرم ضياء العمري، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، مؤسسة الرسالة والعلم، بيروت، لبنان. البلاذري: أنساب الأشراف ج٢، ص٢٤٧. المبرد: الكامل في الأدب، ج٢، ص١٣٩. الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص٦٤، ٦٥، ٧٢، ٧٧. ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص ٢٥٥-٢٧٤. السير والجوابات: سيرة أبي قحطان، ج١، ص١١٢. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/١٩٦٥م) السيرة النبوية، ص٥٤٥، ٥٤٦، جمعة وعلق عليه/ عزيز بك وجماعة من المسلمين، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان. ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص١٣٤. ابن كثير: البداية، ج٧، ص٢٨٠، ٢٨٢. الشماخي: السير، ج١، ص٤٧- ٥٠.

(١) هناك سبباً آخر أدى إلى خروج الخليفة علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-إلى الخوارج غير السبب المذكور أعلاه في المتن، ومنها مقتل عبدالله بن الخباب -ﷺ- علي يد مسعر بن فدكي الذي استعرض الناس حين قدم من البصرة إلى النهروان، مما جعل الإمام علياً -ﷺ- أن يتوجه بجيشه إلى الهند مطالباً إياهم بتسليم قتلة عبدالله بن خباب، إلا أنهم ردوا عليه بقولهم كلنا قتلته. البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٦١. ابن قتيبة: الإمامة، ج١، ص١٤٧. الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٠٧. الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ص٨٢. القزويني، زكريا بن محمد حمود (ت٨٦٢هـ/١٣٥٧م): آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٧٢، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، (د.ط). ابن كثير: البداية، ج٧، ص٢٨٨. الشماخي: السير، ج١، ص٥٠.

(٢) القزويني: آثار البلاد، ص٤٧٢.

(٣) المبرد: الكامل في الأدب، ج٢، ص١٣٩.

(٤) السير والجوابات: سيرة السؤال في الولاية والبراء، ج١، ص٣٧٤.

سوى أربعة[١]؛لأن هناك جماعات فارقت عبدالله بن وهب الراسبي حتى أصبح عددهم أربعة آلاف، وهو ما يدحض أيضاً ما ذهب إليه من أن علياً- رضي الله عنه- قتل جميع أهل النهروان[٢]. وما يؤكد ذلك إلحاق الخليفة علي - ﷺ - أربعمائة منهم بعشائرهم ولم يجهز عليهم[٣]، وكذلك انعزال جماعة منهم بعد المعركة بقيادة أبي بلال مرداس بن أدية التميمي[٤]. ولكن البعض من أهل النهروان أصروا على اتباع العنف والبطش ضد مناوئيهم. ولا يعد هذا الانقسام الأول في المحكمة؛ فقد أنعزل أثناء المعركة فروة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة رجل[٥]، وذلك لإدراكه عدم صحة قتال الخليفة –رضي الله عنه–، وانعزل يوم المعركة أيضاً عبدالله بن أبي الحوساء الطائي في ثلاثمائة[٦]، إلا أن جميع من انعزل من أهل النهروان ظلوا شوكة ضد الخليفة علي –رضي الله عنه–والدولة الأموية بعد ذلك[٧].فقد عملوا على نشر أفكارهم ومعتقداتهم،

(١)السير والجوابات: سيرة أبي قحطان، ج١، ص١٧٨

(٢). الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢١٠، ٢١١، الطبري: تاريخ الطبري،ج٥،ص٨٨.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٣١٨. الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢١١. الطبري: التاريخ الطبري ، ج٥، ص٨٨.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٢٠٣.

(٥) قيل: انعزل مع فروة بن نوفل ألف وخمسمائة رجل. البلاذري: أنساب الأشراف،ج٤، ص١٨٣، ابن كثير: البداية، ج٨، ص٢٢.

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٤،ص١٨٣.

(٧) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٢٢. البلازدري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٨٣-١٨٥. المبرد: الكامل في الأدب ، ج٢، ص١٧٦، ١٧٧، ١٧٩. الطبري: تاريخ الطبري، ج٥،ص١٢٥، ١٦٦، ١٧٢-٢٣٧،١٧٦ ، ٢٣٨. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ_٩٣٥م): مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين،ج١،ص٢١٠- ٢١٢. تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢،

فانضم إليهم كل من اعتقد بهم من المسلمين. وخير مثال على ذلك حركة فروة بن نوفل الأشجعي، وأبي الحوساء الطائي، وحوثر بن وداع الأسدي الذين انعزلوا أثناء المعركة، وحركة حيان بن ضبيان السلمي الذي عفا عنه الخليفة بعد المعركة.

ويتضح مما تقدم أن معركة النهروان لم تسفر عن أية نتائج إيجابية تحول دون حركة الخوارج الذين اعتنقوا مبادئ وأفكار ومعتقدات المحكمة الأولى، واتخذوا سياسة البطش والقمع ضد مناوئيهم. بل نرى أن المعركة أسفرت عن قتل عبدالرحمن بن ملجم[١] للخليفة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– سنة ٤٠هـ / ٦٦٠ م[٢].

١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة_ مصر. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٢٤م): الكامل في التاريخ،ج٢،ص١٨٧، ١٨٨، ٢٠٥-٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٩، ٢٥٤، ٢٥٥. دار صادر، بيروت-لبنان،١٣٨٥هـ/١٩٦٥م (د.ط). الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ، وفيات مشاهير أعلام، "حوادث وفيات" ٤١- ٦٠ هـ، ص ٧، تحقيق/ عبد السلام تدمري، ط٢، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان. ابن كثير البداية،ج ٨،ص٢٢.

(١) ابن الكلبي: جمهرة النسب،ج١،ص٣٦٦.

(٢)الطبري: تاريخ الطبري، ج٥،ص١٤٣، ١٥٢. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣ م): جوامع السير النبوية، ص ٣٥٥، تحقيق/إحسان عباس وناصر الدين أسد، مراجعة/ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة-مصر، (د. ط)، (د. ت). الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، (ت ٦٩٧هـ-١٢١٧): مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، ص ٧٦، تحقيق/ مصطفى جواد، وضع فهارسه/ سالم الألوسي، مطبعة الحكومة، بغداد_ العراق، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، (د. ط). ابن كثير: البداية ،ج٧،ص٣٢٤. ابن حجر، أحمد بن علي بن مهدي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/

ظهور الخوارج المعتدلة[١]:

تُعد المرحلة الثانية التي تلت معركة النهروان، هي الإنطلاقة الأولى لظهور الخوارج الأكثر اعتدالاً على الساحة السياسية الإسلامية، المتمثلة بانشقاق أبي بلال مرداس بن أدية التميمي عن جماعة الخوارج، هو وبعض أفرادها.

ويُعد أبو بلال من كبار المُحكمة، حيث شهد صفين مع الخليفة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–. وقد أنكر التحكيم عندما وقع[٢]، واشترك في النهروان وكان ممن نجا من القتل[٣]، وبعدها آثر القعود، وعدم اتخاذ سياسة البطش والقتل، مقارنة بالجماعات الأخرى من الخوارج[٤]، لإدراكه أن ما حدث في النهروان ما هو إلا فتنة أودت بالكثير من المسلمين. لهذا رأى أنه لا يجب القتال بين المسلمين، فآثر اتخاذ سياسة أخرى يستطيع من خلالها نشر أفكار ومعتقدات المحكمة، دون اللجوء إلى سياسة البطش والقتل، مقارنة بالجماعات الأخرى من الخوارج، وهي سياسة السلم. فتوجه إلى البصرة، وكان

١٤٤٨م): تهذيب التهذيب، ج٧،ص٣٣٨، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، (د.ط)، (د.ت).

(١) عمدنا على إطلاق مسمى الخوارج المعتدلة على أتباع أبي بلال مرداس بن ادية؛ لأنهم اعتمدوا سياسة السلم والاعتدال مع الدولة الأموية.

(٢) الشماخي: السير:ج١، ص٦٤.

(٣) الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان: العقود الفضية في أصول الإباضية ، ص١٠٧، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط- عمان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، (د.ط).

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص١٨٣-١٨٥. الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١،ص٢١٠-٢١٢.الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص٨١، ٨٧. ابن الأثير: الكامل، ج٢،ص١٨٧، ١٨٨، ٢٠٥-٢١٢، ٢٢٩، ٢٥٤، ٢٥٥.

اختياره لها دون الكوفة عدم وجود مؤيدين فيها لأهل البيت، وتوقعه إن دعوته هناك ستحضى بالترحيب لوجود قبيلة تميم التي ينتمي اليها،[١]. وبهذا نرى أن العصبية القبلية ظهرت من جديد بعدما حد منها الإسلام. إذ نجد حماية الأحنف بن قيس التميمي وعصبيته لهم، وموقفه المؤيد للأفكار والآراء التي تبناها أبو بلال وأتباعه. لهذا نرى المؤرخين الإباضيين يثنون عليه[٢]،بالرغم من أن سلوكه بعد ذلك ينفي علاقته بهم[٣].

ومن أسباب اتخاذ أبي بلال مرداس بن أدية سياسية السلم والاعتدال، تضييق الخليفة معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه–وولاته على الحركات الخارجية، إذ اتخذوا سياسة شديدة كان لها أثرها في إحباط ثوراتهم[٤]. فمعاوية، مثلاً اتخذ سياسة التهديد مع أهل الكوفة أثناء فشل أهل الشام في هزيمة فروة بن نوفل سنة ٤١هـ/٦٧١م، إذ قال لهم: "لا أمان لكم عندي ولا رزق أو تكفوني أمرهم"[٥]. أيضاً اتبع ولاته، ومنهم زياد بن أبية الذي جمع له

(١)الشماخي: السير،ج١،ص٧٦.

(٢) يرجح سبب ثناء المؤرخين الإباضيين ومدحه له هو ما لقاه أسلافهم من حماية من قبل الأحنف لهم عندما لجأوا إلى البصرة بعد معركة النهروان، بالإضافة إلى موقفه ضد أبي الحضرمي في البصرة لعدم موافقه الأحنف بمبايعة ابن معاوية –رضي الله عنه– البلاذري: أنساب الأشراف،ج٢،ص٣٠٦، ٣٠٧. الشماخي: السير،ج١،ص٧٦.

(٣) خليفات، عوض محمد: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ، ص٥، ط٤، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، وزارة التراث القومي، مسقط–عمان.

(٤) خليفات، عوض محمد: نشأة الحركة الإباضية، ص٦٤، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط–عُمان.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٤، ص١٨٣.

معاوية البصرة والكوفة[١] وابنه عبيدالله، سياسة شديدة كان لها دور فعال في افشال ثوراتهم وإحباطها. فزياد اتبع نفس أسلوب الخليفة معاوية في التهديد والوعيد ضد كل من يأوي أي خارجي أو يحول دون محاربته. ويذكر أنه يوماً خطب في أهل البصرة، بقوله: "يا أهل البصرة والله لتكفوّن هؤلاء الخوارج أو لأبيدنكم، والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون من عطائكم درهما"[٢]. ومن ناحية أخرى هدد القبائل العربية في البصرة بإجلائهم، وقطع عطائهم إن تساهلوا في قتالهم[٣]، وهي نفس السياسة التي اتخذها من بعده ولده عبيدالله بن زياد[٤].

ولهذا آثر أبو بلال مرداس بن أدية وأتباعه السلم وعدم اللجوء للسيف في فرض آرائهم، فلاقت دعوته استجابة كبيرة من قبل أهل البصرة. وكان يعقد المجالس والمناظرات لإقناع الناس بارائه، فانضم إليه عدد كبير منهم وأكثرهم من قبيلته بني تميم، فكثر أتباعهم، حتى أنهم بنوا مسجداً خاصاً بهم في

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٥٢، قام بنشره/ محمد مصطفى زياد وجمال الدين محمد، مطبعة لجنة التآليف، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م (د.م) (د.ط).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٤،ص١٨٣. الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص٢٣٨.

(٣)المبرد: الكامل في الأدب ،ج١٨٠،٢، ١٨١. الطبري: تاريخ الطبري ، ج٥، ص٢٣٨.

(٤)ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩ م): عيون الأخبار،ج١،ص٤٥٩، تحقيق/ يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ط) (د.ت). البلاذري: أنساب الأشراف،ج٤، ص٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٦، ٥٠٢. المبرد: الكامل في الأدب، ج٢، ص٢٥٥. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٩٥.

البصرة[١]؛ وهذا ما جعل عبيدالله بن زياد والي البصرة، يقول فيهم: "لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع"[٢].

ويعود نجاح أبي بلال وأتباعه لعدة أسباب، منها: حماية قبيلته بني تميم له ولمن اتبعه، وعدم لجوئه لسياسة العنف. لهذا كان زياد بن أبيه متسامحاً ولیناً معهم، حتى أنه كان يطلب ودهم[٣]، ويسعى إلى مصالحتهم، ليتفرغ للخوارج المتطرفين[٤]. كما كان لسيرة أبي بلال الحسنة أثراً في نجاح دعوته، وقد بلغ من حسن سيرته إن الإباضية أعدته من رمزوها وأبرز أتباعها[٥]. ولهذا أنكرت الخوارج المتطرفة سياسة أبي بلال مرداس وأعوانه، فلقبوهم "بالقعدة" الذين قعدوا عن الجهاد في سبيل الله ومحاربة الولاة الظالمين[٦]، بالرغم من أن مصطلح "القعدة" لم يظهر كمصطلح إلا في سنة ٦٤هـ/ ٦٨٥م.

أما أهل السنة في البصرة، فكانوا يسمونهم "الحرورية" تجنباً، حتى لا يطلقوا عليهم "خوارج"، رضا عن تصرفاتهم الحسنة. فنجد ابن خياط[٧] يفرق

(١) خليفات: نشأة الحركة، ص٦٦.

(٢) المبرد: الكامل في الأدب،ج٢،ص١٨٢. اليراع: فراشة إذا طارت في الليل من يعرفها إنها شرارة طارت عن النار. [ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، ص٤١٣ مادة "يراع"، ط٦، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٧م، دار صادر، بيروت- لبنان].

(٣) المبرد: الكامل في الأدب، ج٢،ص١٩٢.

(٤) خليفات: نشأة الحركة، ص٦٦.

(٥)الشماخي: السير، ج١، ص٦٥.

(٦) أطلق خليفات على أتباع أبي بلال مرداس بن أديه مصطلح القُعدة، على الرغم من أن هذا المصطلح لم يظهر في المصادر التاريخية قبل سنة ٦٤هـ/ ٦٨٥م، أنظر: نشأة الحركة، ص٦٧.

(٧) تاريخ خليفة، ص٢٢١. خليفات: نشأة الحركة، ص٦٧.

بين مصطلحي "الحرورية"، و"الخوارج"، عندما يتحدث عن خروج حركتي قريب وزحاف[١]، فيذكر أنهم أول من خرج من الحرورية بعد معركة النهروان، أما بعد ذلك فيذكر بن خياط جميع الحركات الخارجية باسم الخوارج. وكانوا يطلقون على أنفسهم تارة "بالمحكمة"[٢]،وتارة أخرى "بالشراة"؛ أي أنهم شروا أنفسهم من الله بالجهاد[٣]، مستدلين بقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[٤].

وقد ظل أبو بلال وأتباعه في عهد زياد بن أبيه على هذه السياسة السلمية، حتى عهد ابنه عبيدالله الذي اتخذ سياسة القمع والبطش ضدهم، مبرراً ذلك في رغبته في قمعهم قبل تفشي شرهم، على حد قوله. فقد كان يردد قائلاً: "قمع النفاق قبل أن ينجم"[٥]. ونتيجة لهذه السياسة، تبنى أبو بلال وأتباعه تنظيماً سرياً لنشر آرائهم، بهدف الابتعاد عن أنظار عبيدالله وبطشه. ولكن ذلك لم يجد نفعاً، فقد تعقبهم متخذاً وسائل عدة، أدت في آخر المطاف إلى اعلان أبي

(١) لم نعثر على ترجمة لقريب وزحاف ما عدا ما تم ذكره أعلاه في المتن. أنظر: ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٢١

(٢) خليفات: نشأة الحركة ص٦٧.

(٣) الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م): مفردات في غريب القرآن، ص٣٨٢ مادة "الشراة"، أعده للنشر وأشرف على الطبع/ محمد أحمد خلف الله، مكتبة أنجلومصرية، الجيزة-مصر، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م،(د.ط) ابن منظور: لسان العرب، ص٤٢٩ مادة "شرى".

(٤) سورة التوبة آية ١١١.

(٥) المبرد: الكامل في الأدب،ج٢، ص١٨٢، ١٨٣.

بلال وأتباعه المعتدلين من الخوارج مبدأ الخروج. فأظهروا دين الإسلام، ودعوا إلى طاعة الله ورسوله[١]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢].

وتشير بعض المصادر[٣] أن سبب خروج أبي بلال وأتباعه، هو قول ابن زياد على المنبر: "لأخذن المحسن بالمسيء، والحاضر بالغائب، والصحيح بالسقيم". فقام إليه أبو بلال، فقال: "ما هكذا ذكر الله، إذ يقول الله تعالى: { وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى(٣٧) أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى}"[٤].

(١) خليفات: نشأة الحركة، ص٦٧.

(٢) يعد مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي دعا إليه أبو بلال مرداس بن أدية، من أهم المبادئ الذي اعتنقته الإباضية والفرق الإسلامية الأخرى، مثل: الشيعة والمعتزلة، وقد أكدت على وجوبها، وقد أكد ابن حزم ذلك بقوله: "اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بلا خلاف في أحد منهم" لقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ)، ولكن الخلاف في كيفية تطبيقه. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م): الفصل في الملل والنحل،ج٤، ص١٧١، مكتبة مثنى، بغداد-العراق،(د.ط) (د.ت). الكندي، محمد بن إبراهيم، (من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي): بيان الشرع، ج٢٩،ص٢١-٢٣، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط-عُمان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، (د.ط). الصنعاني، أحمد بن عبدالله (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): التاج المذهب لأحكام المذهب، ج٤، ص٤٦٨-٤٧٤، ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة- مصر.عمارة، محمد: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ص٦٨، ٦٩، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، المؤسسة العربية للدراسات بيروت- لبنان.

(٣) المبرد: الكامل في الأدب،ج٢،ص١٩٢. الشماخي: السير،ج١،ص٦١.

(٤) سورة النجم آية ٣٧- ٤١.

فغضب ابن زياد منه فأمر بحبسه. وعندما خرج من السجن رأى سياسة البطش ضد أتباعه، فأعلن الخروج، وقال لأصحابه: "إنه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم الظالمة للعدل، مفارقين للفضل. والله إن الصبر على هذا لعظيم، وأن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم، ولكنا نشد عنهم، ولا نجرد سيفاً، ولا نقاتل إلا من قاتلنا"(١).

فخرج أبو بلال مرداس بن أدية في أربعين رجلاً(٢)، وقيل ثلاثين رجلاً(٣)، وقيل ستة وثلاثين رجلاً(٤). والراجح أنهم أربعون؛ لأن هذا الرقم اتخذ فيما بعد من قبل الإباضية(٥) رقماً واجباً لمن أحب الخروج ضد السلطة القائمة، ولا يحق لأي منهم الخروج دون أن يبلغ أصحابه أربعين رجلاً على الأقل(٦).

وبالرغم من المبادئ التي اتخذها أبو بلال مرداس بن أدية عند خروجه، وهي عدم رفع السلاح والقتال، (فإن ابن زياد قد خشي نشاطه وانتشار دعوته، فندب إليه أسلم بن زرعة في ألفي رجل. وتقابل الطرفان في "آسك")، وهي بلد من

(١) الطبري: تاريخ الطبري ، ج٥، ص٣١٤. الشماخي: السير،ج١، ص٦٢.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار،ج١،ص٢٥٣.الشماخي: السير،ج١، ص٦٢.

(٣) قبل خروج أبي بلال مرداس بن أدية من البصرة انضم إليه ثلاثون رجلاً وبعد خروجه انضم إليه عشرة رجال. البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٢٠٦. ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٧هـ/٨٤١م):العقد الفريد،ج٢،ص٣٣٨، ٣٣٩، تحقيق/ محمد التنوجي، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، دار صادر، بيروت- لبنان.

(٤) المبرد: الكامل في الأدب،ج٢،ص١٨٤.

(٥) كما ذكرنا قبل ان أبي بلال أعدته الإباضية من رمزوها وأتباعها فلهذا اتخذت بعض أرائه واجبة على المذهب الأباضي.

(٦) خليفات: التنظيمات الاجتماعية، ص١١٢.

نواحي الأهواز بين "أرجان" و"رامهرمز"[١]، (ولكنه لم يجر بينهما قتال)، وهو الراجح؛ (لأنه من الصعب أن يصدق المرء هزيمة جيش ابن زياد أمام أربعين رجلاً فقط)[٢]. فمن المحتمل أن أسلم قد اقتنع بعد النقاش مع أبي بلال أنه لا يريد السيف، ولكن نشر آرائه بطريقة سلمية (دون أن يغير ولاءه لابن زياد والأمويين)[٣]، ونرى أيضاً خوف أسلم بن زرعة من إلتفاف الخوارج المتواجدين في منطقة الأهواز حول أبي بلال، لكثرة الخوارج المتطرفة هناك. وهذا ما أكدته الأحداث التاريخية بعد ذلك[٤]. ومن جهة أخرى فإن البغدادي[٥] قد أرجع اخفاق أسلم بن زرعة إلى ميله إلى قول الخوارج. وهذا ما جعل ابن زياد أن يرسل إليه جيشاً، مكوناً من أربعة آلاف رجل، بقيادة عباد بن علقمه المعروف بعباد الأخضر ، الذي انتصر على أبي بلال وأتباعه، في سنة ٦٠هـ/٢٨٧م[٦]، والذي أسفر عن مقتل أبي بلال. وقد كان لمقتله أثر كبير لدى أتباعه، إذ رثاه عمران بن حطان في أبيات، بقوله فيها:

"يا عين ابكي لمرداس ومصرعه يا رب مرداس اجعلني كمرداس

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٣، ص٥٣

(٢) ابن قيتبة: عيون الأخبار،ج١، ص٢٥٣. ابن الأثير: الكامل،ج٤، ص٩٤.

(٣) خليفات: نشأة الحركة، ص٧٠.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٤،ص١٨٦، ٤٦٤، ٤٦٥. الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٧٢، ٢٧٣. الطبري: تاريخ الطبري ج٥،ص١٦٦. ابن الأثير: الكامل،ج٤،ص١٦٧، ١٦٨. الشهرستاني: الملل والنحل،ج١،ص١٦٢، ١٦٣.الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات "٦١-٨٠هـ"، ص٤٣، ٣١٨، ٣٢٤.

(٥) الفرق، ص٧٥.

(٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار،ج١، ص٢٥٣. قيل: إنه أرسل إليهم ثلاثة آلاف رجل. المبرد: الكامل في الأدب،ج١،ص١٨٦، ١٨٧. الطبري: تاريخ الطبري ،ج٥،ص٣١٤. وقيل: أنه أرسل إليهم ثلاثة آلاف. ابن الأثير: الكامل،ج٤،ص٩٤.

تركتنـــي هـــائماً أبكـــي لمـــرارتي في منـزل مـوحش مـن بعـد إينـاس
أنكـرت بعـدك مـن كنـت أعرفـه فالنـــاس بعـــدك يـــا مـــرداس

فما كان من الخوارج إلا أن اقتصوا من عباد بن أخضر بقتله، انتقاماً منه على قتل أبي بلال وأتباعه(٢). وهو ما أدى إلى زيادة نقمة ابن زياد على الخوارج المعتدلة المتواجدين في البصرة، فاتخذ وسيلة "قتل الخارجي بالخارجي"، بعدما زجهم بالسجون مقابل إخراجهم من السجن. إضافة إلى قتلهم والتمثيل بهم، ومن بينهم عروة بن أدية التميمي أخى أبي بلال مرداس(٣). ولهذا عاش الخوارج المعتدلة فترة قلق وهلع مما اضطرهم إلى التستر والاختفاء. لكنهم بدأوا بالظهور من جديد في ثورة ابن الزبير، عندما أعلن معارضته لسياسة معاوية بن أبي سفيان، الذي اتخذ مبدأ الوراثة في الحكم، في آواخر خلافته، والذي لم يستطع بدوره أخذ البيعة لابنه من ابن الزبير، سنة ٥٦هـ/٦٧٥م(٤).

وبالرغم من الجهود الذي بذلها يزيد بن معاوية تجاه ابن الزبير، فإنها لم تفلح. فاتخذ سياسة تتجه نحو الحرب ضد ابن الزبير، وخاصة بعدما ظهرت ثورته على الخلافة بشكل علني. فأمر يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بالتوجه إلى مكة، للقضاء على ابن الزبير وثورته، إلا أنه هلك في طريقه إليه. وتولى القيادة من بعده الحصين بن نمير السُّكوني، وقد وصل إلى مكة قبل انقضاء شهر محرم، فعسكر "بالحجون"، وهو جبل يقع في أعلى مكة، بالغرب من البيت

(١) المبرد: الكامل في الأدب،ج٢،ص١٨٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٩٥.
(٣) المبرد: الكامل في الأدب،ج٢،ص١٩٠-١٩٢. ابن الأثير: الكامل،ج٤،ص٩٥.
(٤) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٣، ص٢٥٦. ابن الأثير: الكامل،ج٤،ص١٤-١٦.

الحرام، مسافة ميل ونصف[١]، فعمل على نشر جيشه على مسافات واسعة، يستطيع من خلالها السيطرة على المنطقة. وأما ابن الزبير فقد حث الناس على القتال، وانضم إليه المنهزمون من معركة "الحرة" سنة ٦٥هـ/٦٨٢م، وكذلك الخوارج الأكثر اعتدالاً التابعين لآراء أبي بلال، بقيادة عبدالله بن إباض، ونافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر الحنفي، وغيرهم لمنع البيت الحرام من أهل الشام. وكان عدد الجيش الذين اشتركوا مع ابن الزبير أقل بكثير من جيش أهل الشام. ولهذا تحول الوضع إلى كفة أهل الشام، الذين عملوا على ضرب الكعبة بالمجانيق، واستمر حصارها وضربها حتى أتى خبر وفاة يزيد بن معاوية، سنة ٦٤/٦٨٣م. وهكذا أصبحت الخلافة فارغة من الخليفة، فأعلن ابن الزبير أنه خليفة للمسلمين. هذا الموقف جعل الخوارج المعتدلة يدخلون معه في نقاش أدى في آخر المطاف إلى رجوعهم إلى البصرة[٢]. وكان أبرز نقاط الاختلاف بين الخوارج المعتدلة وابن الزبير تتبلور في مسألة الخلافة وأحقيتها، فتركوه وعادوا إلى البصرة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م[٣]. وقبل ذلك انشقت عن الخوارج المعتدلة مجموعة آثرت التوجه إلى اليمامة، بقيادة سالم بن مطر مولى بني زمان، وعطية بن الأسود، وأبي فديك عبدالله بن الثور[٤]. وكان سبب اختيارهم لها، إدراكهم

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢، ص٢٢٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٤،ص٣٣٨. ابن الأثير: الكامل،ج٤، ص١٢٣، ١٢٤. الذهبي: تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات، "٦١-٨٠هـ"، ص٣٣-٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري ،ج٥، ص٥٦٦. ابن الأثير: الكامل،ج٤،ص١٦٥-١٦٧.

(٤) الطبري: التاريخ الطبري ،ج٥، ص٥٦٦.

بأن الأوضاع فيها تلائم مجيئهم، خاصة أنهم ينتمون إلى عشائر اليمامة[١]. - وبهذا يكون للعامل القبلي دور مهم في حركة الخوارج-.

وبالنسبة للجماعة المتوجهة إلى البصرة، بقيادة نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر الحنفي، وعبدالله بن إباض، وعبدالله بن صفار، وبني الماحوز، وعبدالله وعبيدالله بن الزبير من بني سليط ابن يربوع، تعرضوا جميعهم مع مائة وأربعين للسجن[٢]. لكنهم سرعان ما استطاعوا الخروج؛ إذ قيل أن ابن زياد أخرجهم[٣]، وقيل أنهم كسروا باب السجن، وهو الأرجح[٤]، نتيجة هروب ابن زياد من البصرة إلى الشام، بسبب اضطراب الظروف السياسية، والتي أسفرت عن مبايعة أهل العراق والحجاز لابن الزبير، وإخراج أهل البصرة لابن زياد، والتحاقه بالشام. ومهما تعددت الآراء فإنها كانت لصالح الخوارج المعتدلة التي استطاعت الخروج من السجن، وكانت سبباً في افتراقهم؛ لأنه بعد خروجهم اختلفت أفكارهم وآراؤهم فوقعوا على مفترق الطرق. وكانت تلك الأفكار والآراء وخلو الخوارج المعتدلية من قائد واحد يجمعهم، سبباً في وضعها في بداية مرحلة جديدة وخطيرة، كان لها أثرها في

(١) العاني، عبد الرحمن عبد الكريم: البحرين في صدر الإسلام، ص١٦٧، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان.

(٢) تعددت الروايات حول عدد الذين تم سجنهم من الخوارج من قبل ابن زياد، حيث قيل: ثلاثمائة، وقيل: أربعمائة رجل. البلاذري: أنساب الأشراف،ج٤،ص٤٤٦. المبرد: الكامل في الأدب،ج٢،ص٢٠٨. الطبري: تاريخ الطبري، ج٥،ص٥٦٧.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات "٦١-٨٠هـ"، ص٣٦.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري ،ج٥، ص٥٦٧. ابن الأثير: الكامل، ج٤،ص٤٦٧.

انقسامهم نهائياً[١]. فالأولى: تبنت أفكاراً معتدلة تدعو إلى عدم الخروج، بقيادة عبدالله بن إباض، وعبدالله بن صفار، والثانية: تبنت أفكاراً متطرفة تدعو إلى الخروج، بقيادة نافع بن الأزرق[٢] الذي استغل الظروف السياسية التي تهيأت له؛ وأهمها الصراع القبلي الذي نجم بين الأزد وربيعة، وبين بني تميم وقيس، مما أدى إلى حدوث الفتنة في البصرة[٣]. ومن هذا الافتراق ظهر مصطلح "القُعدة"، عندما انشق نافع بن الأزرق عن جماعة الخوارج المعتدلة، بزعامة عبدالله بن إباض، وعبدالله بن صفار وغيرهما، عندما آثر الخروج وعدم القعود في البصرة بعد خروجه من السجن. وهذا هو الانشقاق الثاني بعد انشقاقهم الأول عند عودتهم من مكة المكرمة بعد اختلافهم مع ابن الزبير[٤]، والذي اسفر بدوره إلى وقوع خلاف بين أفراد جماعة الخوارج المعتدلة أنفسهم وتباين موقفهم تجاه ابن الأزرق. وفي الوقت ذاته أنضم نجدة بن عامر الحنفي إلى نافع بن أزرق، الذي توجه بدروه إلى الأحواز، وأخذ يدعو الناس بعد تبنيه آراء وأفكاراً خارجية متطرفة، كان لها أثرها السلبي على جماعته، فانشق عنه

(١) هاشم، مهدي طالب:الحركة الإباضية في المشرق العربي، ص٥١، ٥٢، ط١٤٢١،١هـ/٢٠٠١م، دار الحكمة، لندن- المملكة المتحدة.

(٢) من آراء نافع بن الأزرق والتي ادت إلى افتراق الخوارج المعتدلة فيما بينها: قولهم بان مخالفيهم من هذه الامة مشركون. وإن القعدة ممن كان على رأيهم عن الهجرة إليهم مشركون، وأيضاً دعوا إلى استباحة قتل نساء مخالفيهم، وقتل أطفالهم، وزعموا ان الأطفال مشركون، وقطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون في النار. البغدادي، الإمام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (٤٢٩هـ/١٠٣٧): الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منها، ص٦٨ ،٦٩، حقق أصوله، وفصل وضبط شكله، وعلق على حواشيه/ محمد محي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د.ت).

(٣) الطبري: تايخ الطبري ،ج٥،ص٥٦٧. ابن الأثير: الكامل،ج٤، ص١٦٧.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري،ج٥، ص٥٦٦. ابن الأثير: الكامل،ج٤، ص١٦٧.

نجدة بن عامر، متوجهاً إلى اليمامة. أما بالنسبة لابن إباض والجماعة التي آثرت القعود، فقد كتب إليهم ابن الأزرق يحثهم على الخروج والجهاد في سبيل الله، مستشهداً بالآية القرآنية: ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[١]. ومن هنا ظهر مصطلح "القعود" لأطراف الخوارج المعتدلة، وكان قبل ذلك قد كتب إلى نجدة بن عامر كتاباً جاء فيه: "أما هؤلاء القعدة فليس كما ذكرت". وذلك رداً على كتابه[٢].

ويمكننا القول أن مصطلح "القعدة" قد ظهر في آواخر سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وأطلق على أصحاب ابن اباض واتباعه. أما قبل ذلك فلم يشر إليها أي مصدر تاريخي ما عدا صاحب "أساس البلاغة"[٣] الذي ذكر أن هذا المصطلح قد أطلق على قوم من الخوارج قعدوا عن نصرة علي –رضي الله عنه–. بينما تذكر بعض الدراسات[٤] أنه أطلق على الجماعة التي فارقت المحكمة بعد النهروان سنة ٣٨هـ/٦٥٨م، بزعامة أبي بلال مرداس بن أدية، ولا يمكن الركون لذلك،

(١) سورة التوبة: آية ١١١.

(٢) المبرد: الكامل في الأدب،ج٢، ص٢١٣. الطبري: تاريخ الطبري ،ج٥،ص٥٦٧، ٥٦٨. ابن الأثير: الكامل،ج٤،ص١٦٧.

(٣) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م): أساس البلاغة، ٥١٦، دارصادر، بيروت–لبنان، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، (د.ط).

(٤) خليفات: نشأة الحركة، ص٦٥. طعيمات، هاني سليمان: الإباضية مذهب لا دين (دراسة تحليلية نقدية في نشأة الإباضية لموقفهم من التعصب المذهبي) ،ص ١٤٠، ط١، ١٤١٤هـ/٢٠٠٣م، دار الشروق، الأردن– عمان. الخروصي، سالم بن هلال: الفكر السياسي عند الإباضية والزيدية، الفكر السياسي، ص٤٦، ط١، ١٤١٧هـ/٢٠٠٦م، مكتبة مدبولي، القاهرة– مصر.

لسبب: أن صاحب "أساس البلاغة" متأخر، والمصادر التاريخية[١] لا تشير إلى مصطلح "القعدة" مقترناً بأبي بلال، بل مقترناً بعمران بن حطان السدوسي بعدما قعد؛ لأن عمره قد طال فضعف عن الحرب[٢].

ونستنتج مما سبق أن هذه الانقسامات بين الخوارج منذ نهاية معركة النهروان حتى الانشقاق الأخير بين الخوارج المعتدلة، تدل على عدم وجود تنظيم متماسك لهم، يرأسه شخص واحد، وهو ما يؤكده أمران،**الأول**: حدوث كثير من الحركات من قبل عددٍ من الخوارج المعتدلة ضد الدولة الأموية، في عهد أبي بلال، مثل حركتي قريب وزحاف[٣]؛ بالرغم من استياء أبى بلال منهما[٤]،لأنه كما هو معروف عنه أنه يدين الاستعراض. بالإضافة إلى أنه عندما أراد الخروج ضد ابن زياد، لم يخرج معه سوى أربعين رجلاً فأين أتباعه من الخوارج المعتدلة؟. **أما الأمر الثاني**، فإنه لم تشر الإباضية عند حديثها عن أبي بلال، أنه كان رئيساً لتنظيم معين[٥]. ويمكن القول بأن مرداساً بن أدية لم يكن زعيماً "للقُعدة"، كما ذكرت بعض المراجع[٦]؛ لأن مصطلح "القعدة" لم يظهر

(١) الطبري: تاريخ الطبري ،ج٥،ص٤٧٠، ٤٧١.المبرد: الكامل في الأدب،ج ٢،ص١٥٨، ١٥٩، ١٨٦-١٨٨. الشماخي: السير،ج١، ص٦٤، ٦٥.

(٢) الجاحظ، أبو عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م): البيان والتبيين،ج١،ص١٨٧، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت).الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م): الأغاني،ج١٦،ص١٥٠، طبعة بولاق، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، الناشر/ صلاح يوسف الجليلي، ودار الفكر، القاهرة-مصر، (د.ط).

(٣) الطبري: تاريخ الطبري ،ج٢٣٨،٢٣٧،٥. ابن الأثير: الكامل،ج٣،ص٢٢٩.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤،ص١٩٨، المبرد: الكامل في الأدب،ج٢، ص١٨٠.

(٥) الشماخي: السير،ج١،ص٦٤.

(٦) خليفات: نشأة الحركة، ص٦٨.

في عهد أبي بلال، ولكنه ظهر عندما تبنى نافع بن الأزرق آراء وأفكار المتطرفة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، -كما أشرنا سابقاً-. فلو كان هناك تنظيم سياسي يقوده زعيم واحد، لقضي عليه من قبل زياد بن أبيه وابنه عبيدالله. وما يؤكد ذلك أنه عندما خرج أبو بلال مع أربعين من أتباعه، تخوّف ابن زياد من أن يشكل أبو بلال تنظيماً سياسياً يهدد كيان الدولة الأموية، فعمل على قتاله(١).

ومن ناحية أخرى فقد رافق الانقسام الثاني للخوارج المعتدلة انقسام فكري عقائدي، كان له أثره في سلوك الحركات الخارجية من حيث التطرف والاعتدال(٢). فكانت الآراء التي تبنتها الخوارج المتطرفة، بقيادة نافع بن الأزرق، لها أثرها السلبي على جماعته، وعلى الخوارج المعتدلة أيضاً(٣)؛ إذ انشق عنه نجدة بن عامر الحنفي. وبالنسبة للخوارج المعتدلة، فقد نشب خلاف بين عبدالله بن إباض وبين بهيس بن جابر الذي أسس الفرقة البهيسية(٤). أما عبدالله بن صفار، فإنه لم يخرج عن عبدالله بن إباض، بل كان يقول بقوله فترة من الزمن، ثم اختلف معه فيما بعد. وهذا ما أكده المبرد(٥)، بقوله: "والصفرية والنجدية في ذلك الوقت- ويقصد بالصفرية والنجدية هنا عبدالله بن صفار ونجدة بن عامر أما الوقت فيقصد به الفترة التي أثارت فيها آراء نافع بن

(١) الطبري: تاريخ الطبري ،ج٥،ص٤٧١. ابن الأثير: الكامل،ج٤، ص٩٤، ٩٥.

(٢) فقد تبنى نجة بن عامر بعض الآراء المخالفة لنافع بن الأزرق، ومنها: اكفار من قال بإكفار القعدة منهم عن الهجرة إليهم، وإكفار من قال بإمامة نافع بن الأزرق. البغدادي: الفرق، ص٧١.

(٣) ابن المرتضى: المنية والأمل، ص٢٦.

(٤) الإسفريني، أبوالمظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفريني (ت٤٧١هـ/١٠٨٩م) التبصير في الدين، ص٢٣٨، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.

(٥) الكامل في الأدب:ج٢، ص٢١٤.

الأزرق المتطرفة استياء الخوارج المعتدلة والمتطرفة- يقولون بقول ابن إباض". وهذه الرواية تدل على نشوب خلاف بين ابن إباض، وابن صفار، ونجدت بن عامر، ليس في سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، بل بعد هذه السنة، والتي انضم فيها ابن إباض لجابر بن زيد.

لذلك يمكننا القول، بأن ظهور الخوارج كفرق لها تنظيماتها الفقهية والسياسية لم يحدث منذ رفضهم مبدأ التحكيم وخروجهم على الإمام علياً -رضي الله عنه-، قد حدث في أواخر سنة ٦٤هـ/٦٨٣م وبعدها. حيث استطاعت الجماعات التي انشقت عن الخوارج الأكثر اعتدالاً أن تكون لها تنظيمات سياسية عسكرية فقهية، كان لها اثرها في تاريخ الدولة الأموية مثل النجدات[١] والأزارقة[٢]

علاقة ابن إباض بتنظيم جابر بن زيد:

لا نعلم متى بدأ التنظيم السري للفرقة الإباضية الذي أسسها جابر بن زيد، إذ لم تشر المصادر الإباضية، وغيرها إلى بداية التنظيم، والأرجح أنه أسس تنظيمه قبل سنة ٥٩هـ/٧٦٩م أي قبل انضمام ابن اباض إليه. إذ أن بعض

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص١٧٤. الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٦٥. المقريزي، تقي الدين ابي العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): خطط المقريزي، ج٣، ص٢٩٩، طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣، دار الكتب اللبانية، بيروت- لبنان. العاني: البحرين في صد الإسلام، ص١٦٧-١٨٠.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٤٦٤. المبرد: الكامل في الأدب، ج٢، ص٢١٤، ٢١٥. الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص١٩٥-١٩٩، ٢١١-٢١٥، ٣٠١-٣١١. الذهبي: تارخي الإسلام حوادث وفيات ٦١هـ-٨٠هـ، ص٦٣، ٦٤. ابن كثير: البداية، ج٩، ص١٠. العاني: البحرين في صدر الإسلام، ص١٦٧-١٨٠.

المصادر[١] ذكرت أن عبيدالله بن زياد سجن جابر بن زيد، ولكنها لم تشر إلى سبب سجنه، بعكس بعض المصادر الإباضية[٢] التي ذكرت أن سبب سجن جابر، أن عامل البصرة ابن زياد طلب منه أن لا يبرح البصرة للحج هذا العام؛ لأن الناس محتاجون إليه، فقال: لا أفعل فسجنه. ومن الممكن أن تكون الصداقة التي ربطت بين جابر بن زيد وأبي بلال مرداس بن أدية هي السبب في ذلك. إذ أن الثاني كان متهماً من قبل ابن زياد بالخروج. وازادت شكوك ابن زياد عندما قام أبو بلال بالخروج إلى آسك مع أربعين من أتباعه[٣]. وقد سجن من قبله صديق جابر بن زيد يقال له أبو فقاس، الذي كان يحج معه، وكانا يلتقيان بعبدالله بن عباس. وقد سأل جابر بن زيد مرة عنه، فأجابه بأن عبيدالله بن زياد أخذه؛ لأنه كما هو معروف أن عبيدالله بن زياد يأخذ كل من يشك أنه خارجي، فسأله ابن عباس أو ما أنت متهم مثله؟ قال: بلى[٤].

وهذه الرواية تؤيدها رواية أخرى على أن تنظيم جابر بن زيد كان في زمن عبيدالله بن زياد، وذلك أن شيخاً من الإباضية يدعى أبو سفيان قنبر قد أخذه

---

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٠٥هـ/ ٨٨٤م): الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٢٨، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، (د.ط). ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص١٤٢. ابو العرب التميمي، محمد بن أحمد (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م): المحن، ٣٩٤، تحقيق/ يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت).

(٢) الشماخي: السير، ج١، ص٦٨. أطفيش، محمد بن يوسف: شرح عقيدة التوحيد، ص٨٩، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط- عُمان، (د.ط) (د.ت). السيابي، سالم بن حمود بن شامس حسن السمائلي: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، ص٢٣، تحقيق/ سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط- عُمان، ١٣٦٣هـ/١٩٧٩م، (د.ط).

(٣) أنظر: خروج أبي بلال مرداس بن أدية من البصرة إلى آسك في ص ١٠، ١١ من الدراسة.

(٤) الشماخي: السير، ج١، ص٨٩.

عبيدالله بن زياد وجلده ليدل على أحد من المسلمين –الإباضية–فلم يفعل، قال جابر بن زيد: "وكنت قريباً منه، وما كنت أنتظر إلا أن يقول هذا هو فيعصمه الله"(١).

فجابر بن زيد، كما تشير الروايتان، كان يتبع أسلوب السرية والكتمان، كأساس من أسس التنظيم الذي تزعمه. ولهذا لم تشر المصادر التاريخية والإباضية إلى تاريخ تأسيسه. ويؤكد ذلك رسائله التي أرسلها إلى أتباعه في مختلف الأمصار الإسلامية، إذ كان يؤكد عليهم بأن يلتزموا جانب السرية والكتمان ومحو كل ما كان يكتب إليهم، ولا يذكروا اسمه في الأمصار التي يكونون فيها حتى لا ينفضح أمره للخلافة الأموية(٢).

ومن الوسائل التي استخدمها جابر بن زيد لدرء الخطر الأموي عليه، وعلى تنظيمه "التقية" كوسيلة دفاعية(٣). وقد لجأت الإباضية إلى أخذ هذه الوسائل

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٨٦.

(٢) درويش، أحمد: جابر بن زيد حياة من أجل العلم، ص١٥٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة– مصر،١٤١١هـ/١٩٩١م، (د.ط).أبو داود، سامي صقر عيد: الإمام جابر بن زيد الأزدي (ت٩٣هـ/٧١١م) وأثره في الحياة الفكرية والسياسية–دراسة تاريخية–: ص١٠٠، ط١ ،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (د.م).

(٣) يعد مبدأ التقية من المبادئ الأكثر استخداماً لدى بعض المذاهب الإسلامية مثل الإباضية ، والشيعة الإمامية والسنة–على الرغم من أنها مقيدة تقيد شديد–، وجميعهم قالوا بجوازها، ويتم استخدامها كوسيلة دفاعية من بطش الدول القائمة. وقد وردت أحاديث عنها، فقد سئل ابن عباس عنها فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله وضع على أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه". وأخرى: "إن الله تجاوز على أمتي عما توسوس به صدورها، ما لم تعمل به .... وما استكرهوا عليه". [البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م): السنن الكبرى، ج٧، ص٣٥٦، باب طلاق المكره، ط١،

من بعد جابر بن زيد، كوسيلة تقيها من أعدائها[١]، ولذلك كانت من أكثر الفرق الإسلامية المعارضة للدولة الأموية بقاء حتى بعد انتهاء الدولة الأموية.

ونستنتج من كل ذلك أن الوسائل التي اتخذها جابر بن زيد من السرية والكتمان والتقية، كانت سبباً في انتساب الفرقة لعبدالله بن إباض، الذي عدته الإباضية[٢] المتكلم الرسمي للفرقة، ليس على الجانب الفقهي بل الفكري،

١٥٣هـ/١٩٣٣م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الهند. أبو الحواري، محمد(ت في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي): جامع أبي الحواري، ج١، ص٤٤-٥٥، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط-عمان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، (د.ط).. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٤هـ/١٢٠٤م): التفسير الكبير، ج٨، ص١٤، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، المطبعة البهية المصرية، القاهرة- مصر. البطاشي، محمد بن شامس: غاية المأمول في علم الفروع والأصول، ج٩، ص٢٩، ٣٠، باب تقية الإمام، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط-عمان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٩م، (د.ط). خليفات، عوض محمد: دراسات في النظم والعقائد الإباضية "المقالة الأولى"، ص٢٠٥، مجلة المؤرخ العربي، مجلة فصلية، العدد ١٧، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، بغداد- العراق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م].

(١) حول جواز التقية عند الإباضية بعد الإمام جابر بن زيد أن خازم بن خزيمة خرج في طلب شيبان الخارجي فوجد أهل عمان قتلوه فطلب إلى الجلندي مسعود تسلم خاتم شيبان وسيفه ويخطب لسلطان بغداد ويعترف له بالسمع والطاعة. فاستشار الإمام علماء أهل زمانه ومعهم يومئذ هلال بن عطية الخراساني وشبيب بن عطية وخلف بن زياد، فأشاروا عليه بدفع سيف وخاتمه وسيفه وما يرضيه من الأموال، فأبى خازم إلا الخطبة والطاعة فرأوا أن لا يدفع عن الدولة بالدين، وإنما يدفع عنها بالمال والرجال. فقال محبوب: يجوز إعطاؤهم السمع والطاعة باللسان إذا خافوا منهم على الدولة الشراة أو غير الشراة" . البطاشي: غاية المأمول، باب تقية الإمام،ج ٩،ص٢٩، نفحات من السير، بكر بن أعوشت، ج١، ص٩-١١، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، مسقط-عُمان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.(د.ط).

(٢) الشماخي: السير، ج١،ص٧٢، ٧٣. السيابي: إزالة الوعثاء، ص٨. خليفات: نشأة الحركة، ص٨٠.

وخاصةً في المسائل المختصة بالخوارج. ولهذا حصل خلط المؤرخين وكتاب الفرق، حول نسبة الفرقة الإباضية لعبد الله بن إباض ومؤسس الفرقة جابر بن زيد. ولم يقفوا عند هذا الخلط فحسب، بل عدّوا الإباضية أحدى فرق الخوارج[١]؛ بسبب انتماء عبدالله بن إباض للتنظيم، وتبنيه أفكار وآراء الخوارج. ونتيجة هذا الخلط بين تنظيم جابر بن زيد السري، وبين اعتبار تنظيمه أحد فرق الخوارج، فإنه تبرأ منهم؛ لأن الإباضية في تلك الفترة كانت محسوبة على الخوارج. ويرجع سبب هذا الخلط أيضاً؛ إلى توهمهم بأن ابن إباض بإنشقاقه عن ابن الأزرق قد أسس فرقة أخرى؛ وهذا غير صحيح. ذلك أن انشقاق أي شخص من الفرق يكون نتيجة آراء مختلفة، لا بنسبة شخص إلى الفرقة الذي كان ينتمي إليها من قبل.[٢]، فكانت بذلك مستقلة عن الفرق الأخرى، بالرغم من اشتراكها مع أغلب الفرق ببعض الآراء. ولهذا كان جابر بن زيد يتبرأ من أن يكون إباضياً[٣]. وما يؤكد ذلك عدم وجود أي رأي فقهي لابن إباض عند الإباضية[٤].

---

(١) نشوان الحميري: أبو سعيد نشوان الحميري (ت٥٧٣هـ/١١٧٣م): الحور العين، ص٢٣٢، تحقيق/كمال مصطفى، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، بيروت- لبنان، (د.د). ابن المرتضى: المنية والأمل، ص٢٢. ابن حزم: الفصل في الملل ج٤، ص١٨٨. البغدادي: الفرق، ص٨٣. المقريزي: الخطط ، ج٣، ص٣٠١.

(٢) عبد الرحمن سالم: موسوعة الفرق الإسلامية (مادة الإباضية)، ص٢٨، إشراف/ محمود حمدي زقزوق، إصدارات وزارة الأوقاف والشئون الدينية، القاهرة- مصر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (د.ط).

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٢٩، ٢٣٠.

(٤) أنظر: أبو غانم الخراساني، أبو غانم بشر بن غانم، (من علماء القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي): المدونة الكبرى بإجزائها الثلاثة، تحقيق/ مصطفى صالح باجو، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط-عمان. الوارجلاني، أبو يعقوب

وعلى الرغم من ذلك فقد وردت بعض الروايات التي تنكر علاقة جابر بالإباضية، وتعود في إسنادها إلى عزرة وثابت البناني، اللذين كانا معاصرين لجابر بن زيد، وتتلخص رواية عزرة فإنه قد زارا جابراً، وقال له: "... إن الإباضية يزعمون أنك منهم". قال: "أبرأ إلى الله منهم". اما رواية ثابت البناني فتتلخص في النقاش الذي دار بين جابر بن زيد، وهو على فراش الموت، وبين الحسن البصري الذي قال له: "يا أبا الشعثاء: قل لا إله إلا الله. قال: فقال: "يوم يأتي بعض آيات ربك". قال: فتلا هذه الآية. قال: فقال له الحسن: "إن الإباضية تتولاك". فقال: "أبرأ إلى الله منهم". ثم خرج الحسن البصري والراوي من عنده[1].

ويضاف إلى ذلك رواية أخرى يوردها أبو نعيم[2]، لهند بنت المهلب تنكر فيها أن جابراً قد دعاها إلى الإباضية وفحواها: "كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إليَّ وإلى أمي، فما أعلم شيئاً كان يقربني إلى الله إلا أمرني به، ولا شيئاً يباعدني عن الله عز وجل إلا نهاني عنه، وما دعاني إلى الإباضية قط، ولا أمرني بها، وإنه كان ليأمرني أن أضع الخمار، ووضعت يدها على الجبهة". وهذه الرواية تفسرها رواية

يوسف بن إبراهيم الوراجلاني: كتاب الترتيب "محشى بحاشية العلامة أبو عبدالله محمد بن عمر، بأجزائه"، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط- عمان. ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، (د.ط).

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٣، ص٨٩، دار الفكر، بيروت- لبنان، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، (د.ط). وردت هذه الرواية بشيء من الاختلاف. ابن كثير: البداية، ج٩، ص٩٥.

أخرى يوردها البخاري[١]، أن عبدالله بن عمر تبرأ أن يكون جابراً بن زيد إباضياً، بقوله: "ما سمعت منه شيئاً قط وما أدركت أحداً أعلم بالفتيا من جابر ولو رأيته قلت: لا يحسن شيئاً".

وبالرغم من صحة الروايات الواردة بإنكار علاقة جابر بن زيد بالدعوة الإباضية، فإنه يجب أن لا يؤخذ ذلك على علاته لعدة أسباب:

- أن الدعوة الإباضية في زمن جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة كانت -كما أشرنا- في طور الكتمان والسرية والتقية[٢].
- أن الحسن البصري الذي كان صديقاً لجابر بن زيد، لا بد وأنه كان يعرف آراءه ومعتقداته قبل زيارته له وهو على فراش الموت، وليس ذلك الوقت المناسب لأن يطرح الحسن البصري على جابر مثل هذا التساؤل[٣].
- أن ثابت البناني، صاحب الرواية، يورد أيضاً روايتين إضافتين عن قصة زيارة الحسن البصري لجابر بن زيد، ولم يشر لذكر الإباضية أو سؤاله[٤].

(١) البخاري، أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م): التاريخ الكبير، ج٢، ص٢٠٤، دار الفكر، بيروت- لبنان (د.ت) (د.ط).

(٢)هاشم: الحركة الإباضية ،ص ٦٢-٨٥. أبو داود: الإمام جابر، ص٩٩-١٣٤.

(٣) درويش: جابر، ص٢٧٠.أبو داود، الإمام جابر، ص٨١.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٣٠،

والروايتان شبيهتان بالرواية التي ذكرت في بعض المصادر الإباضية[١]، مع اختلاف بسيط، التي تنص على أنه: "لما حضرت جابر بن زيد وفاته، أتاه ثابت البناني، فقال: يا أبا الشعثاء هل تشتهي شيئاً؟ قال: إني لأشتهي أن ألقى الحسن قبل أن أموت! ثم خرج ثابت البناني، فدخل على الحسن فأعلمه بقول جابر بن زيد، وكان الحسن إذ ذاك مستخفياً (من الحجاج) فقال له الحسن: كيف لي بذلك؟ قال: اركب بغلي على السرج، وأنا أرتد فأخلفك وأعطيك طيلساني وأرجو ألا يعرض لنا. ففعل ذلك، ودخل على أبي الشعثاء، قائلاً له: قل لا إله إلا الله، فيقول: أعوذ بالله من غدو أو رواح إلى النار. ثم قال له: يا أبا سعيد (يعني الحسن البصري) {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ...} الآية. قال فقال له الحسن: هذا والله لفقيه العالم".

- أما بالنسبة لهند بنت المهلب وتأكيدها، فإن جابراً لم يدعها لاعتناق الإباضية. فإنها ليست دليلاً على عدم وجود علاقة بين الإباضية وجابر؛ لأن الإباضية في زمن جابر كانت تدعى بجماعة المسلمين أو أهل الدعوة حتى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠هـ/٧١٨م-١٠١هـ/٧١٩م؛ إذ رضوا أن يطلق عليهم بالإباضية[٢]. لهذا فإن الرواية المسندة إلى هند لا تؤيد ما ذهبوا إليه؛ بالاضافة أنها كانت تعيش في

(١) الدرجيني، محمد بن سعيد (ت في القرن السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي): كتاب طبقات مشائخ المغرب المعروف بطبقات الإباضية، ورقة ١٨٠، ١٨١ "مخطوط"، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ٢١١٦، ميكرو فيلم. الشماخي: السير، ج١، ص٦٩، الحارثي: العقود الفضية، ص٩٩، ١٠٠.

(٢) أنظر مسميات الإباضية، ص٥١-٥٤ في الفصل الثالث من الدراسة.

مرحلة ما زالت فيها الدعوة الإباضية في مرحلة طور السرية والكتمان والتقية[١].

ومن الطبيعي أن تنكر أي علاقة تربطها بالدعوة الإباضية التي اتخذت وسيلة استحلال دم من يقوم بكشف أسرار دعوتهم أو الإساءة إليهم. وخير مثال على ذلك ما قام به جابر بن زيد من استحلال دم "خردلة" الذي يعد حادثة مشهورة في المصادر الإباضية، حيث ذكر أن الإمام جابر قال: "أفضل الجهاد قتل خردلة"[٢].

أما بالنسبة لرواية البخاري في تبرئة ابن عمر لجابر بن زيد من أن يكون إباضياً فترجع إلى نفس الأسباب التي تبرأ منها جابر بن زيد.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هناك بعض المصادر[٣] تشير إلى أن جابراً كان إباضياً، ولم تورد أي رواية تدحض فيها هذه الأقوال.

وأخيراً فإن المصادر الإباضية ومراجعها[٤] تجمع على أن جابر بن زيد هو مؤسس المذهب الإباضي، وأما ابن إباض فهو المتكلم والمدافع عن المذهب،

(١) خليفات: نشأة الحركة، ص٩٥. درويش: جابر، ص٢٨٠.

(٢) الشماخي: السير، ج١، ص٧١. أطفيش: شرح عقيدة، ص٩٣. الحارثي: العقود الفضية، ص١٠٢.

(٣) ابن أبي الحديد، الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسيني (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م): شرح نهج البلاغة، ج٥، ص٧٦، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، دار أحياء التراث العربي، بيروت- لبنان. ابن حجر: تهذيب، ج٢، ص٣٨.

(٤) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ١٧٩ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١، ص٦٧، الحارثي: العقود الفضية، ص٩٤. السيابي: إزالة الوعثاء، ص٢٩، ٥٥. الجعبيري، فرحات

ولا يخرج برأي إلا بعد الرجوع إليه. وما يؤكد ذلك أن جميع الآراء الفقهية عند الإباضية تستند على رواية جابر بن زيد عن ابن عباس وبعض الصحابة، من أمثال: عبدالله بن عمر، وأنس بن مالك وغيرهما؛ لهذا عُدَّ من الثقات[١].

علاقة أبي بلال مرداس بن أدية بجابر بن زيد:

يعد أبو بلال مرداس بن أدية من أبرز شخصيات الخوارج المعتدلة، وأحد الرجال من المحكمة الأولى، التي تأثرت به الفرقة الإباضية، التي نجدها تشير إلى العلاقة المتينة التي ربطت بين أبي بلال مرداس بن أدية وجابر بن زيد، إذ يقول الرقيشي[٢]: "بلغنا أن أبا بلال مرداس بن أدية وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر إمامهم جابر بن زيد". وهو ما تؤكده رواية الأزكوي[٣]، وفحواها: "أن أبا بلال لما أراد الخروج من البصرة بسبب أفعال عبدالله بن زياد، كتب إلى جابر بن زيد يشاوره ... وكان أئمة المسلمين لا يخرجون إلا برأيه".

أما بالنسبة لعلاقة أبي بلال مرداس بتنظيم الإمام جابر بن زيد، فإننا نرى أنه ليس له علاقة به سوى بالمبدأ الذي نادى به، وهو القعود والأفكار الاعتدالية. وبالنسبة لما تذكره الروايتان عن "الخروج"، فلا يمكن الاعتماد عليهما لعدة أسباب:

بن علي: نفحات من السير، ج٢، ص٢٦٨، ٢٦٩، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، مسقط- عُمان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، (د.ط).

(١) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/١٣٦٨م): تقريب الثقات، ص٢٦٩، تحقيق/ خليل بن مأمون شيحا، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

(٢) أبو داود: الإمام جابر، ص٥٧. نقلاً عن مصباح، ص٣٨ .

(٣) المرجع نفسه، ص٥٧. نقلاً عن كشف الغمة الجامع لأخبار الأئمة، ص٢٣٧.

أولها: أن الشطر الأول من رواية الأزكوي حول استشارة أبي بلال لجابر بن زيد حول الخروج كان أمراً طبيعياً بين اثنين ارتبطت بينهما صداقة وآراء اعتدالية[١]، يضاف إلى ذلك لو أن أبا بلال وغيره كانوا لا يخرجون عن أمر جابر لما خالف أبو بلال جابراً في الخروج؛ لأن جابر بن زيد كان ممن يعترضون على الخروج على الدولة الأموية، بالرغم من أنه كان لا ينفصل عن تحركات علماء عصره السياسية، إن كانوا ينتمون للخوارج المعتدلة أو غيرها، إذ كان ارتباطه بهذه التحركات يقوم على أساس آراء وأفكار سياسية فقط، وليس تحركات عسكرية. وما يؤكد ذلك عندما قامت حركة ابن الأشعث وانضم إليه كثير من علماء عصره، من أمثال: كُميل بن زياد النخعي، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي وغيرهم، لم يشارك فيها جابر بن زيد[٢]. ولهذا يمكننا القول أن أبا بلال استشار جابر بن زيد بحكم الصداقة التي ربطت بينهما، إذ يروي الشماخي،[٣] أن أبا بلال "لا يفارق جابراً من عند ما يصلي العتمة إلى آخر الليل مع بعد ما بين منزلهما فيقول له جابر: "ارفق بنفسك .... "فيجيب بأنه لا يقدر على مفارقته".

وهناك رواية أخرى تفسر حكم الاستشارة يوردها الأزكوي[٤]، مفادها أن أبا بلال مرداس عندما أراد الخروج قال لجابر: "ألا وإني قاطعٌ البحرَ إلى عُمان وماضٍ إلى مكة فأقيم بها". فلفظ "قاطع وماضٍ"هنا يفيد الذهاب إلى عُمان، وبعدها الاستقرار في مكة.

(١)أبو داود، الإمام جابر، ص٥٦-٥٩.

(٢)الطبري: تاريخ الطبري ، ج٦، ص٣٣٤-٣٥٠. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٤٦١-٤٧٢.

(٣)السير، ج١، ص٦٥.

(٤) أبو داود: الإمام جابر، ص٥٧. نقلاً عن كشف الغمة الجامع لأخبار الأئمة، ورقة ٢٣٨.

أما بالنسبة للشطرين الأخيرين من الروايتين التي فحواهما: "وكان أئمة المسلمين لا يخرجون إلا برأيه"، "ومن أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر إمامهم جابر بن زيد"؛ فإنه لا يمكن الركون إليهما لسببين: أولهما، أن المصدرين الرقيشي والأزكوي متأخران، فالأول من علماء القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، والثاني من علماء القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي[١]، بينما هناك مصادر متقدمة لم تشر إلى هاتين الروايتين[٢]. ثانياً: أن لفظ "أئمة" الذي ورد عند الأزكوي والرقيشي يحمل معنيين: أولهما، علماء عصره؛ فكما هو معروف عن جابر بن زيد أنه من أعلم علماء عصره بشهادة حبر الأمة ابن عباس –رضي الله عنه –، إذ قال: "لو أن أهل البصرة نزلوا عن قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً، عما في كتاب الله"[٣]. ولهذا عدته كتب الجرح والتعديل من أكثر الرواة ثقة ومن مشاهير أعلام الأمصار[٤]، ونجد رواياته المأخوذة عن ابن عباس –رضي الله عنه– في كتب

(١) أبو داود: الإمام جابر، ص٥٨.

(٢)الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١٨٧ – ١٩٤ "مخطوط". البرادي، أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم(ت ٨١٠هـ/١٤٠٥م): الجواهر المنتقاة في إتمام ما خلّ به كتاب الدرجيني، ورقة ١٧٢ "مخطوط" بدار الكتب المصرية برقم ٨٤٥٦. ميكروفيلم. الشماخي: السير، ج١، ص٦٤.

(٣) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٣، ص٨٦. ابن معين، يحيى بن معين: تاريخ ابن معين. برواية أبو خالد بن الهيثم بن طهمان ملحق بكتاب أبو الفضل العباس بن محمد بن حاتم الدوري البغدادي،ج٢، ص٦٣، تحقيق/ عبدالله أحمد حسن، بيروت– لبنان (د.ط) (د.ت) ابن حجر: تهذيب،ج٢،ص٣٨.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٢٨.ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥): مشاهير أعلام الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، ص١٤٤، تحقيق/ مرزوق علي إبراهيم، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت–

الحديث وعند الإباضية[١]. بل إن المتتبع لبعض الكتب الفقهية لدى الإباضية يجد رواياته الكثيرة عن ابن عباس. لهذا تعده الإباضية الحلقة الأولى لمذهبهم[٢]. ولم يقتصر ثناء ابن عباس عليه فحسب، بل أثنى عليه أيضاً ابن عمر، بقوله: "ما أدركت أحداً أعلم بالفتيا من جابر"[٣]. وكذلك عمر بن دينار، بقوله: "ما رأيت أحداً أعلم بالفتيا من جابر بن زيد"[٤]. وكذلك جابر بن عبدالله الأنصاري، عندما سئل عن مسألة، فقال: "كيف تسألوننا وفيكم أبو الشعثاء". وتدل هذه الروايات أن جابر بن زيد من أشهر التابعين ومفتيين البصرة[٥].

لبنان. ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): تقريب التهذيب، ص١٣٦، قدم له دراسة وافية/ محمد عوامة، ط٤، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار الرشيد، حلب-سوريا.

(١) البخاري، أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): صحيح البخاري، باب الوضوء "غسل رجل مع امرأته" ص٧٣، دار مطابع الشعب، (د.م) (د.ط) (د.ت). البيهقي: سنن البيقهي، ج٧، ص٣٥٦، باب طلاق المكره، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م): الكاشف عن معرفة من له رواية في الكتب الستةج١،ص١٧٦، تحقيق/ عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموشى، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر. أبو غانم الخراساني: المدونة، ج١، ص١٩، ٤٤، ٦٥، ١٧٦، ج٢، ص٨،٦، ١٠، ١٣، ج٣، ص١١، ١٩، ٢٨، ٢٠٨.ابن عمر، أبو عبدالله محمد: حاشية الترتيب بهامش كتاب الترتيب لأبي يعقوب الوراجلاني، ج١، ٦٩، ٧١، ١٣٧، ١٦١، ١٧٥، ١٧٧، ٢٣٧، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط- عُمان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٢) السيابي: إزالة الوعثاء، ص٣٣.

(٣) البخاري: التاريخ، ج١، ص٢٠٤.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٣، ص٨٦.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٢٨. البخاري: التاريخ ج١، ص٢٠٤. ابن حجر: تهذيب،ج٢،ص٣٨. السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت

وأخيراً يمكننا القول، بأن جابر بن زيد لم تكن تربطه بإبن إباض أي علاقة سوى انتساب تنظيمه إليه باعتباره المتكلم والمدافع عن المذهب الإباضي ضد الخوارج. أما بالنسبة لأبي بلال مرداس بن أدية فلم تكن تربطه بجابر سوى الصداقة مثله مثل غيره من علماء عصره. إذ كانوا جميعاً ذوي تيار فكري واحد، إضافة إلى أن جابراً لم يكن رئيساً لتنظيم القعدة الذي كان رئيسه الأول أبو بلال مرداس بن أديه[1] لأن "القعدة" كمصطلح لم يظهر إلا في سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، عند افتراق الخوارج المعتدلة بعد خروجه من السجن. إضافة إلى اشتراكهما في الآراء والأفكار، وفي إنكارهما للتحكيم.

مما سبق عرضه أردنا الإشارة إلى ارتباط الخوارج ورموزها بالمذهب الإباضي ومؤسسها جابر بن زيد. وذلك تمهيداً للحديث عن تحول المذهب من النطاق الضيق إلى النطاق الأوسع، المتمثل في انتشاره في المغرب العربي ودوره العلمي.

وحسب المصادر الإباضية[2]، فإن قيادة المذهب آلت بعد وفاة جابر بن زيد ٩٣هـ/٧١١م إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت١٤٥هـ/٧٦٣م) والتي تعده الإباضية أحد أئمتها البارزين، الذي كان له دور مهم في نشر أفكار وآراء

٧٧١هـ/ ١٣٦١م): طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٧٧، تحقيق/ عبد الفتاح الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، الجيزة- مصر (د.د).

(١) خليفات: نشأة الحركة، ص٦٥-٩٢. الأصول التاريخية، ص٧. الطعيمات: الإباضية، ص١٤٠، الخروصي: الفكر السياسي، ص٤٦.

(٢) أبو زكريا، يحيى بن أبي بكر(ت٤٧١هـ/١٠٧٨م): سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا، ص٦. تحقيق/ اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، (د.ط). الشماخي: السير، ج١، ص٧٨. السيابي: إزالة الوعثاء، ص٣٣.

المذهب الإباضي في عُمان، واليمن،والموصل،والمغرب،وخراسان، عن طريق الدعاة بعد تلقيهم العلم على يديه وفي عهده استطاعت الإباضية أن تؤسس لها إمامات في بعض المناطق التي أرسل إليها دعاته، منها عُمان والمغرب.

obeikan.com

obeikan.com